بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي جعل لكل شيء قدرا، وأنفذ بكمال علمه وحكمته ما يجري وما جرى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

الدرس الأول: أسباب ورود الحديث

تعريف السبب لغة واصطلاحا:

جاء في المعجم الوسيط: السبب: الحبل وكل ما يتوصل به إلى غيره... والقَرَابة والمودة، ويقال: ما لي إليك سبب: طريق[1].

وقال صاحب القاموس المحيط:«... والسبب الحبل وما يتوصل به إلى الغير، واعتلاق قَرابة، ... ج أسباب، وأسباب السماء: مراقيها أو نواحيها أو أبوابها...»[2].

أما عند الأصوليين فالأسباب هي التي أضيفت الأحكام إليها، كقوله تعالى:«أقم الصلاة لدلوك الشمس»، وقوله تعالى:«فمن شهد منكم الشهر فليصمه»، وذلك أنه لما عسر على الخلق معرفة خطاب الله تعالى في كل حال لاسيما بعد انقطاع الوحي أظهر الله سبحانه خطابه لخلقه بأمور محسوسة نصبها أسبابا لأحكامه وجعلها موجبة ومقتضية للأحكام[3].

---

[1] – المعجم الوسيط(ص:411)

[2] – القاموس المحيط للفيروزآبادي(ص:96)

[3] – المستصفى للغزالي(1/ 93)

الفرق بين السبب والعلة

هناك فرق بين السبب والعلة، وذلك أن السبب وصف منضبط بخلاف العلة، فحصول النصاب سبب في وجوب الزكاة، والزوال سبب لوجوب صلاة الظهر، والعقود أسباب في إباحة الانتفاع أو انتقال الأملاك.

أما العلة فالمراد بها الحكم والمصالح التي تعلقت بها الأوامر والإباحة والمفاسد التي تعلقت بها النواهي، فالمشقة علة إباحة القصر والفطر في السفر، فالسفر هو السبب الموضوع للإباحة، فالعلة هي المصلحة نفسها أو المفسدة لا مظنتها كانت ظاهرة أم لا، منضبطة أم لا[1].

معنى الورود

قال ابن منظور: وورد الماء وغيره وردا ووروداً، وورد عليه: أشرف عليه، دخله أو لم يدخله ... وكل من أتى مكانا منهلا أو غيره فقد ورده[2].

معنى الحديث

الحديث لغة: ضد القديم، ويستعمل في اللغة أيضا حقيقة في الخبر.

وفي القاموس المحيط: الحديث: الجديد والخبر.

واصطلاحا: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي.

والخبر عند علماء الحديث مرادف للحديث، فلا فرق إذن عند الجمهور بين الخبر والحديث.

---

[1] – الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي(1/ 265) بتصرف

[2] – لسان العرب(3/ 457)

وعليه فالتعريف المختار للحديث هو: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي، أو أضيف إلى الصحابي أو التابعي.

معنى سبب ورود الحديث

علم أسباب ورود الحديث هو علم يبحث فيه عن الأسباب الداعية إلى ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الحديث أولا، وهذا السبب قد يكون سؤالا، وقد يكون قصة، وقد تكون حادثة، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بسببه أو بسببها[1].

وقال الدكتور نور الدين عتر رحمه الله:«أسباب الحديث: هو ما ورد الحديث متحدثا عنه أيام وقوعه»[2].

وقال طارق أسعد حليمي:«معرفة ما جرى الحديث في سياق بيان حكمه أيام وقوعه».

وقال أيضا:«يمكن القول: إن أسباب الورود هي الحال التي جرى فيها الحديث من جهة المشرع في سياق ما توفرت الدواعي إلى بيانه في محل وقوعه».

مثال:

اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة[3]، وجعل نقشه «محمد رسول الله» لأنه صلى الله عليه وسلم كتب كتابا أو أراد أن يكتب فقيل له: إنهم لا يعرفون كتابا إلا مختوما، فاتخذ خاتما من فضة نقشه محمد رسول الله، كأني أنظر إلى بياضه[4].

[1] – الوسيط في علوم مصطلح الحديث لأبي شهبة(ص:467)

[2] – منهد النقد في علوم الحديث(ص:334)

[3] – أخرجه البخاري(65)

[4] – انظر النكت على مقدمة ابن الصلاح لابن حجر(1/ 72)

فائدة معرفة سبب الورود

1-وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم[1]، وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن، أما المؤمن فيزداد إيمانا على إيمانه، ويحرص كل الحرص على تنفيذ الأحكام الشرعية والعمل بمقتضاها لما يتجلى له من المصالح والمزايا. أما الكافر فتسوقه تلك الأحكام الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفا حيث يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان لا على الاستبداد والتحكم والطغيان[2].

2-الوقوف على المعنى، وذلك لأن سبب الورود طريق قوي في فهم معاني الأحاديث النبوية حتى لا يقع فيها انحراف على مستوى الفهم.

3-تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت النص في ذهن كل من يسمعه إذا عرف سببه، وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات والاحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة كل ذلك من دواعي تقرر الأشياء وانتقاشها في الذهن وسهولة استذكارها[3].

4-تخصيص الحكم عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب[4].

5-أن اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته، فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع[5].

---

[1] – البرهان في علوم القرآن للزركشي(1/ 117)

[2] – مناهل العرفان في علوم القرآن(1/ 78) بتصرف

[3] – مناهل العرفان(1/ 81) بتصرف

[4] – الإتقان في علوم القرآن للسيوطي(1/ 29) بتصرف

[5] – المصدر السابق بتصرف

المؤلفات في سبب ورود الحديث

لا شك أن معرفة سبب النزول للآية مما يكون سببا رئيسا في الفهم السليم لهاته الآية حتى لا تُفهم على نحو خطإ، وبناء على ذلك اهتم العلماء ببيان أسباب ورود الحديث لما لها أيضا من أهمية في الفهم السليم للنص النبوي، ومن هنا شرع العلماء في هذا النوع من التصنيف.

ومن أشهر المصنفات ما يأتي:

1-مصنف أبي حفص العكبري(ت:387هـ) ذكره البُلقيني في محاسن الاصطلاح. وقال ابن حجر العسقلاني: ومن المهم معرفة سبب الحديث، وقد صنف فيه بعض شيوخ القاضي أبي يعلى بن الفراء الحنبلي(ت:458هـ)، وهو أبو حفص العكبري (ت:387هـ). قد ذكر الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد(ت:702هـ) أن بعض أهل عصره شرع في جمع ذلك، وكأنه ما رأى تصنيف العكبري المذكور»[1].

2-ما أضافه الإمام البلقيني في محاسن الاصطلاح، حيث إنه أضاف خمسة أنواع من علوم الحديث على مقدمة ابن الصلاح، فكان هذا المبحث منها، ولهذا يعد ما أورده البلقيني أول محاولة في إظهار هذا النوع، وقد ذكر له أمثلة ختمها بقوله:«وفي أبواب الشريعة والقصص وغيرها أحاديث لها أسباب يطول شرحها، وما ذكرنا أنموذج لمن يريد تعرف ذلك، ومدخل لمن يريد أن يضيف مبسوطا في ذلك، والمرجو من الله سبحانه وتعالى الإعانة على مبسوط فيه بفضه وكرمه»[2].

---

[1] - نزهة النظر(ص:132)

[2] - محاسن الاصطلاح(ص:713)

3-اللمع في أسباب النزول للسيوطي(ت:911هـ). رتب أحاديثه على الأبواب الفقهية، بحيث يذكر أحاديث الطهارة ثم الصلاة ...، وقد ضمنه ثمانية وتسعين حديثا دون المكرر منها، وعدد المكرر هو تسعة وعشرون حديثا، وطريقته في إيراد الأحاديث أنه يحذف الأسانيد مكتفيا بذكر الصحابي مبتدئا بعزوه إلى المصادر التي اعتمدها، وهي متنوعة وكثيرة، منها كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم والأجزاء ...، ثم يذكر متن الحديث، وبعده سبب وروده معزوا إلى الكتب التي خرجته.

4-البيان والتعريف في أسباب الحديث الشريف لابن حمزة الحسيني الدمشقي (ت:1120هـ) وهو كتاب لخص فيه مصنف أبي البقاء العكبري(ت:616هـ) وزاد عليه زيادات حسنة، كما ضم إليه فوائد استفادها من كتاب اللمع في أسباب النزول للسيوطي.

ومنهجه فيه: أنه حذف أسانيده حتى من ذكر الصحابي، مع ترتيبه حسب حروف المعجم. فبعد ذكر طرف من الحديث موطن الشاهد من الكتب التي اعتمدها، وهو ما بينه بقوله:«وعنيت بتخريج أحاديثه من المعاجم والمسانيد والكتب الستة. والواجب في الصناعة الحديثية أنه إذا كان الحديث في أحد الصحيحين لا يعزى لغيره البتة إلا إذا اقتضى الحال، ولكل مقام مقال». ثم بعد تخريج الحديث يذكر سبب وروده عازيا السبب لمن أخرج لفظه من أصحاب الحديث التي اعتمدها، وأحيانا بدون عزوها. وقد ضمن كتابه أربعة وثلاثين وثمانمائة وألف(1834) حديثا. وقد يذكر للحديث الواحد أكثر من سبب[1].

وهناك أيضا دراسات معاصرة اعتنت بأسباب ورود الحديث، منها:

[1] - أسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس(ص:153)

1-علم أسباب ورود الحديث للدكتور بدر عبد الحميد هميسة.

2-علم أسباب ورود الحديث وتطبيقاته عند المحدثين والأصوليين للدكتور طارق الأسعد.

3-سبب ورود الحديث –ضوابط ومعايير- لزين العابدين محمد عصري.

4-أسباب ورود الحديث وأثر معرفتها في توجيه الأحكام لحسن الشرقاوي.

5-أسباب ورود الحديث وأثره في فقه الحديث لآسو رضا أحمد.

أقسام أسباب ورود الأحاديث:

تنقسم الأحاديث النبوية من حيث ورودها إلى قسمين: ما له سبب ورد لأجله، وما لا سبب له.

أما ما له سبب فظاهر، منه:

*ما ذكر سببه في الحديث كسؤال يجيب عنه النبي صلى الله عليه وسلم، كحديث جبريل الذي سأل فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأماراتها.

*ومنه حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: الصلاة لوقتها. قال: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني[1].

*ومنه حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار، قال: فجاء قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما

[1] – متفق عليه

رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال:«يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة» إلى آخر الآية، «إن الله كان عليكم رقيبا»، والآية التي في سورة الحشر:«اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله»، تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره. حتى قال: ولو بشق تمرة. قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت عنها، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[1].

أما النوع الذي لا يذكر سببه في نفس الحديث، أو يذكر في بعض طرقه فهو الذي ينبغي الاعتناء به كما قال البلقيني رحمه الله في محاسن الاصطلاح[2].

*مثاله حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»[3].

سبب وروده ما جاء في رواية أخرى عن أبي هريرة في صحيح مسلم بلفظ: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:«أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا. فقال رسول الله صلى الله عليه

---

[1] – صحيح مسلم(1017)

[2] – محاسن الاصطلاح(ص:699)

[3] – صحيح البخاري(6858)

وسلم:«لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم. ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»[1].

*مثال آخر:

حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[2].

سبب وروده: ما ذكره العيني في شرحه على صحيح البخاري[3] أن سبب هذا الحديث هو ما اشتهر بين المحدثين من قصة مهاجر أم قيس، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس، فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر، فهاجر فتزوجها، فكنا نسميه مهاجر أم قيس[4].

تمارين تطبيقية:

ابحث عن سبب ورود الأحاديث التالية:

1-قال النبي صلى الله عليه وسلم:«أنتم أعلم بأمر دنياكم».

2-قال النبي صلى الله عليه وسلم:«أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين».

3-قال النبي صلى الله عليه وسلم:«ادخروا ثلاثا ثم تصدقوا بما بقي».

---

[1] - صحيح مسلم(1337)

[2] - أخرجه البخاري(1)

[3] - عمدة القاري(1/ 28) بتصرف.

[4] - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(8/ 106)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(2/ 101): ورجاله رجال الصحيح. وقال العيني: رجاله ثقات.

4-قال النبي صلى الله عليه وسلم:«إنما البيع عن تراض».

5-قال النبي صلى الله عليه وسلم:«الخراج بالضمان».

الدرس الثاني: غريب الحديث

تعريف غريب الحديث:

الغريب في اللغة: هو البعيد، والجمع غرباء، واغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه، والتغريب: النفي عن البلد، وأغرب الرجل إذا جاء بشيء غريب، من فعل: غرب ك: كَرُمَ: غَمُضَ وخَفِيَ[1].

غريب الحديث اصطلاحا:

قال الحافظ ابن الصلاح: غريب الحديث: وهو عبارة عما وقع في متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة البعيدة من الفهم، لقلة استعمالها[2].

قال النووي: غريب الحديث: هو ما وقع في متن الحديث من لفظة غامضة بعيدة من الفهم لقلة استعمالها.

قال العراقي: غريب الحديث، هو ما يقع فيه من الألفاظ الغامضة البعيدة عن الفهم[3].

قال الحافظ السخاوي:" فهو ما يخفى معناه من المتون ؛ لقلة استعماله ودورانه، بحيث يبعد فهمه ولا يظهر إلا بالتنقير عنه من كتب اللغة.

فضل علم غريب الحديث:

قال الحافظ ابن الصلاح: «هذا فن مهم، يقبح جهله بأهل الحديث خاصة، ثم بأهل العلم عامة، والخوض فيه ليس بالهين، والخائض فيه حقيق بالتحري جدير بالتوقي. روينا عن الميموني قال: سئل أحمد بن حنبل عن حرف من غريب الحديث، فقال: سلوا أصحاب الغريب، فإني أكره أن أتكلم في قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

---

[1] – الصحاح للجوهري(1/ 191)، القاموس المحيط للفيروزآبادي(ص:120)

[2] – مقدمة ابن الصلاح(ص:272)

[3] – شرح التبصرة والتذكرة(2/ 84)

بالظن فأخطئ . وبلغنا عن التاريخي محمد بن عبد الملك قال: حدثني أبو قلابة عبد الملك بن محمد قال: قلت للأصمعي: يا أبا سعيد، ما معنى قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «الجار أحق بسقبه »؟ فقال: أنا لا أفسر حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولكن العرب تزعم أن السقب اللزيق ...»[1].

وقال الإمام النووي: هو فن مهم، والخوض فيه صعب، فليتحر خائضه، وكان السلف يتثبتون فيه أشد تثبت[2].

وقال الحافظ السخاوي: نوع مُهِمّ يتَعَيَّن بِهِ الْعِنَايَة، يقبح جَهله بالمحدثين خُصُوصا وبالعلماء عُمُوما... وَيجب أَن يتثبت فِي هَذَا الْبَاب ويتحرى، فقد سُئِلَ الإِمَام أَحْمد مَعَ جلالته عَن حرف من غَرِيب الحَدِيث، فَقَالَ: سلوا أَصْحَاب الْغَرِيب، فإني أكره حَتَّى أَن أَتكَلّم فِى قَول رَسُول الله [صلى الله عَلَيْهِ وَسلم] بِالظَّنِّ. وَنَحْوه قَول الأصمعي[3].

وقال الحافظ السيوطي: « وهو فن مهم يقبح جهله بأهل الحديث، (والخوض فيه صعب) حقيق بالتحري، جدير بالتوقي، (فليتحر خائضه) ، وليتق الله أن يقدم على تفسير كلام نبيه صلى الله عليه وسلم بمجرد الظنون، (وكان السلف يتثبتون فيه أشد تثبت) . فقد روينا عن أحمد أنه سئل عن حرف منه فقال: سلوا أصحاب الغريب، فإني أكره أن أتكلم في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بالظن. وسئل الأصمعي عن معنى حديث:« الجار أحق بسقبه » ؛ فقال: أنا لا أفسر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن العرب تزعم أن السقب اللزيق»[4].

---

[1] – مقدمة ابن الصلاح(ص:458)

[2] – التقريب والتيسير(ص:87)

[3] – الغاية في شرح البداية في علم الرواية(ص:283)

[4] – تدريب الراوي(2/ 638)

طرق فهم غريب الحديث

هناك طريقان لفهم غريب الحديث:

الأولى: من خلال النص نفسه.

والثانية من خلال كلام العرب.

قال الحافظ زين الدين العراقي: «وأحسن ما يفسر به الغريب ما جاء مفسرا به في بعض طرق الحديث، كقول النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح المتفق عليه لابن صائد: «قد خبأت لك خبيئا فما هو؟ قال: الدخ». فالدخ هنا: هو الدخان، وهو لغة فيه. حكاها ابن دريد، وابن السيد، والجوهري، وغيرهم. وحكى ابن السيد فيه أيضا: فتح الدال. وقد روى أبو داود والترمذي من رواية الزهري، عن سالم، عن ابن عمر في هذا الحديث، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له: ((إني قد خبأت لك خبيئة)) - وقال الترمذي: ((خبيئا)) - وخبأ له {يوم تأتي السماء بدخان مبين} قال الترمذي: هذا حديث صحيح»[1].

المؤلفات في غريب الحديث:

1-كتاب النضر بن شميل المتوفى سنة(204هـ)

2-كتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة(209هـ)

3-كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام البغدادي المتوفى سنة(224هـ)

4-غريب الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ)

5-غريب الحديث لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت388هـ)

---

[1] - شرح التبصرة والتذكرة(2/ 88)

قال ابن الصلاح: «وروينا عن الحاكم أبي عبد الله الحافظ قال: ((أول من صنف الغريب في الإسلام النضر بن شميل)). ومنهم من خالفه فقال: ((أول من صنف فيه أبو عبيدة معمر بن المثنى))، وكتاباهما صغيران . وصنف بعد ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام كتابه المشهور فجمع وأجاد واستقصى فوقع من أهل العلم بموقع جليل، وصار قدوة في هذا الشأن. ثم تتبع القتبي ما فات أبا عبيد فوضع فيه كتابه المشهور ثم تتبع أبو سليمان الخطابي ما فاتهما فوضع في ذلك كتابه المشهور. فهذه الكتب الثلاثة أمهات الكتب المؤلفة في ذلك. ووراءها مجامع تشتمل من ذلك على زوائد وفوائد كثيرة ولا ينبغي أن يقلد منها إلا ما كان مصنفوها أئمة جلة».

6-كتاب الغريبين لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى 401 هـ)

7-الفائق في غريب الحديث والأثر لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت538هـ)

8-النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبو السعادات المبارك ابن محمد ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)

قال الحافظ: «كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام، وهو غير مرتب، وقد رتبه الشيخ موفق الدين بن قدامة على الحروف. وأجمع منه كتاب أبي عبيد الهروي، وقد اعتنى به الحافظ أبو موسى المديني، فنقب عليه واستدرك. وللزمخشري كتاب اسمه "الفائق" حسن الترتيب. ثم جمع الجميع ابن الأثير، في «النهاية»، وكتابه أسهل الكتب تناولا، مع إعواز قليل فيه».

غريب الحديث(الدرس التطبيقي)

*حديث أم زرع

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت :جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا:

قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث على رأس جبل لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل.

قالت الثانية: زوجي لا أبث خبره، إني أخاف أن لا أذره، إن أذكره أذكر عجره وبجره.

قالت الثالثة: زوجي العشنق، إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق.

قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة.

قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد.

قالت السادسة: زوجي إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن اضطجع التف، ولا يولج الكف ليعلم البث.

قالت السابعة: زوجي غياياء أو عياياء طباقاء، كل داء له داء، شجك أو فلك أو جمع كلالك.

قالت الثامنة: زوجي المس مس أرنب، والريح ريح زرنب.

قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد.

قالت العاشرة: زوجي مالك وما مالك؟ مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارح، وإذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك.

قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع فما أبو زرع؟ أناس من حلي أذني، وملأ من شحم عضدي، وبجحني فبجحت إلى نفسي، وجدني في أهل غنيمة بشق، فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقنح. أم أبي زرع فما أم أبي زرع؟ عكومها رداح، وبيتها فساح. ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع؟ مضجعه كمسل شطبة، ويشبعه ذراع الجفرة، بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع؟ طوع أبيها وطوع أمها، وملء كسائها، وغيظ جارتها. جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع؟ لا تبث حديثنا تبثيثا، ولا تنقث ميرتنا تنقيثا، ولا تملأ بيتنا تعشيشا. قالت: خرج أبو زرع والأوطاب تمخض، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين، يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقني ونكحها، فنكحت بعده رجلا سريا، ركب شريا، وأخذ خطيا، وأراح علي نعما ثريا، وأعطاني من كل رائحة زوجا وقال: كلي أم زرع وميري أهلك. قالت: فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع. قالت عائشة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت لك كأبي زرع لأم زرع.

الألفاظ الغريبة في هذا الحديث حسب ترتيب النسوة:

الأولى: غث/ ينتقي/ ينتقل.

الثانية: لا أبث/ بجره/ عجره/ أذره

الثالثة: العشنق/ أعلق

الرابعة: تهامة/ قر/ سآمة

الخامسة: فهِد/ أسد

السادسة: لف/ البث/ التف/ اشتف

السابعة: عياياء غياياء/ طبقاء/ شجك/ فلك

الثامنة: زرنب

التاسعة: العماد/ الناد/ الرماد/ النجاد

العاشرة: المبارِك / المزهر/ المسارح

الحادية عشرة: أناس / عضدي /بجحني /بشق/ صهيل / أطيط /دائس /منق/ لا أقبح، / أرقد / أتصبح/ فأتقنح /عكومها رداح / فساح /كمسل شطبة/ ذراع الجفرة / ملء كسائها /غيظ جارتها/ لا تبث حديثنا تبثيثا /لا تنقث ميرتنا تنقيثا / ولا تملأ بيتنا تعشيشا / الأوطاب تمخض / خصرها برمانتين، /رجلا سريا / ركب شريا / أخذ خطيا /أراح علي نعما ثريا / أعطاني من كل رائحة زوجا / ميري أهلك.

فهذه الألفاظ تحتاج إلى مراجعة معانيها في كتب الغريب السابقة الذكر.

النموذج الأول: حديث جبريل

عن يحيى بن يعمر: قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة: معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين، أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر؟ فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم: أني بريء منهم، أنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر: لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب، قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذات يوم، إذ

طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:«الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا» . قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» . قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك» . قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» . قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة، العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»، قال: ثم انطلق، فلبث مليا ثم قال لي: «يا عمر، أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» أخرجه مسلم وغيره.

الألفاظ الغريبة في هذا الحديث:

اكتنفته/ يتقفرون/ أنف/ ربتها/ العالة/ رعاء الشاء

وهذا شرحها:

اكتنفته: قال ابن الأثير: الكَنَف، وَهُوَ الْجَانِبُ..

(س) وَفِيهِ «يُدْنَى المؤمنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضع عَلَيْهِ كَنَفه» أَيْ يَسْتُره. وَقِيلَ: يَرْحَمه ويَلْطُف بِهِ.

والكَنَف بِالتَّحْرِيكِ: الجانِب والناحِية. وَهَذَا تَمْثِيلٌ لجَعْله تَحْتَ ظِلّ رَحْمَتِهِ يومَ الْقِيَامَةِ.

(س) وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبِي وَائِلٍ «نَشَر اللهُ كَنَفَه عَلَى المُسْلم يومَ الْقِيَامَةِ هَكَذَا، وتَعَطَّف بِيَدِهِ وكُمِّه» وجَمْعُ الكَنَفِ: أَكْناف.

(س) وَمِنْهُ حَدِيثُ جَرِيرٍ «قَالَ لَهُ: أيْنَ مَنْزِلُك؟ قَالَ [لَهُ]: بأَكْنَاف بِيشَة» أَيْ نَواحيها.

وَفِي حَدِيثِ الإفْك «مَا كَشَفْتُ مِنْ كَنَف أنْثَى» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بالكَسْرِ مِنَ الْأَوَّلِ؛ وَبِالْفَتْحِ مِنَ الثَّانِي... وَحَدِيثُ يَحْيَى بْنِ يَعْمَر «فاكْتَنَفْتُه أَنَا وَصاحبي» أَيْ أحَطْنا بِهِ مِنْ جانِبَيه[1].

ربتها: قال أبو عبيد: وَأَن تَلد الْمَرْأَة رَبهَا أَو ربتها. قَوْله: رَبهَا أَو ربتها يَعْنِي الْإِمَاء اللواتي يلدن لمواليهن وهم ذَوُو أَحْسَاب فَيكون وَلَدهَا كأبيه فِي الْحسب وَهُوَ ابْن أمة[2].

قال ابن الأثير: أَشْرَاطِ السَّاعَةِ «وَأَنْ تَلِدَ الأمَة رَبَّهَا أَوْ رَبَّتَهَا» الرَّبُّ يُطْلَقُ فِي اللُّغة عَلَى المالِك، وَالسَّيِّدِ، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّم، والمُنْعِم، وَلَا يُطلَقُ غيرَ مُضاف إلاَّ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَإِذَا أُطلِقَ عَلَى غَيره أُضِيف، فَيُقَالُ رَبُّ كَذَا. وَقَدْ جَاءَ فِي الشِّعْر مُطْلَقًا عَلَى غَيْرِ اللهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ بالكَثِير، وأرَادَ بِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ المولَى والسّيِّد، يَعْنِي أنَّ الأَمَة تَلِد لسَيِّدها وَلداً فَيَكُونُ لَهَا كَالْمَوْلَى؛ لِأَنَّهُ فِي الْحَسَبِ كَأَبِيهِ، أَرَادَ أَنَّ السَّبْيَ يَكْثُر والنِّعْمةُ تَظْهَرُ فِي النَّاس فتكثُر السَّرارِي[3].

العالة: قال الزمخشري: العالة: جمع عائل وَهُوَ الْفَقِير [4].

قال ابن الأثير: (هـ) فِيهِ «إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ العَائِل المُخْتَال». العَائِل: الفَقِير. وَقَدْ عَالَ يَعِيلُ عَيْلَة، إِذَا افْتَقَر.

---

[1] – النهاية في غريب الحديث(4/ 205)

[2] – غريب الحديث لأبي عبيد(2/ 224)

[3] – النهاية في غريب الحديث(2/ 179)

[4] – الفائق للزمخشري(2/ 244)

(س) وَمِنْهُ حَدِيثُ صِلَة «أمَّا أنَا فَلَا أَعِيلُ فِيهَا» أَيْ لَا أفْتقِر.

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «مَا عَالَ مُقْتَصِد وَلا يَعِيلُ» .

وَمِنْهُ حَدِيثُ الْإِيمَانِ «وتَرى العَالَةَ رُءُوسَ النَّاس» العَالَة: الفُقَرَاءُ، جَمْع عَائِل.

[هـ] وَمِنْهُ حَدِيثُ سَعْدٍ «خَيْرٌ منْ أنْ تَتْرُكَهُم عَالَةً يَتكَفَّفُون الناسَ»[1].

رعاء الشاء: قال ابن الأثير: فِي حَدِيثِ الْإِيمَانِ «حَتَّى تَرَى رِعَاءَ الشَّاء يَتَطاوَلُون فِي البُنْيان» الرِّعَاءُ بِالْكَسْرِ والمَدِّ جمعُ رَاعِي الغَنَم، وَقَدْ يُجمعُ عَلَى رُعَاةٍ بِالضَّمِّ»[2].

النموذج الثاني: حديث البر والإثم:

عن النواس بن سمعان – رضي الله عنه –: قال: «أقمت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بالمدينة سنة، ما يمنعني من الهجرة إلا المسألة، كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل رسول الله– صلى الله عليه وسلم– عن شيء، قال: فسألته عن البر والإثم؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: البر: حسن الخلق، والإثم: ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس» أخرجه مسلم والترمذي.

الكلمة الغريبة في الحديث: حاك

قال الزمخشري: سَأَلَهُ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم النوّاس بن سمْعَان عَن الْبر وَالْإِثْم فَقَالَ: الْبر حسن الْخلق الْإِثْم مَا حك فِي نَفسك وكرهت أَن يطلع عَلَيْهِ النَّاس. أَي أثر فِي قلبه وأهمه أَنه ذَنْب وخطيئة. وَمِنْه حَدِيثه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: الْإِثْم مَا حك فِي صدرك وَإِن أَفْتَاك النَّاس عَنهُ وأقنوك. أَي أرضوك. وَمِنْه الحَدِيث: إيَّاكُمْ والحكاكات فَإِنَّهَا

[1] – النهاية(3/ 361)

[2] – النهاية(2/ 235)

المآثم. أَي الْأُمُور الَّتِي تحك فِي الصُّدُور. وروى: مَا حاك وَمن قَوْلهم: حاك فِيهِ السَّيْف وأحاك[1].

قال ابن الأثير: «الْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ» أَيْ أَثَّرَ فِيهَا ورَسخ. يُقَالُ: مَا يَحِيكُ كَلَامُكَ فِي فُلَانٍ: أَيْ مَا يُؤَثِّرُ[2]. "

النموذج الثالث: حديث حقوق المسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر: أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه» أخرجه مسلم في صحيحه .

وفي رواية «لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخوانا».

الألفاظ الغريبة في هذا الحديث:

لا تحاسدوا/ ولا تناجشوا/ لا يخذله/ لا تحسسوا ولا تجسسوا.

لا تحاسدوا: قال ابن الجوزي: قَوْله لَا حسد إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ المُرَاد بِالْحَسَدِ هَا هُنَا الْغِبْطَة وَهِي أَن يتَمَنَّى الْإِنْسَان مثل مَا للْإِنْسَان وَأما الْحَسَد فَهُوَ أَن يتَمَنَّى زَوَال ذَلِك عَن الْمَحْسُود وَإِن لم يحصل لَهُ[3].

---

[1] - الفائق(1/ 302)

[2] - النهاية(1/ 470)

[3] - غريب الحديث(1/ 212)

و قال ابن الأثير: فِيهِ «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ» الحَسَدُ: أَنْ يرَى الرجُل لِأَخِيهِ نعْمة فيَتَمنَّى أَنْ تَزُولَ عَنْهُ وَتَكُونَ لَهُ دُونه. والغَبْطُ: أَنْ يَتمنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ مثْلُها وَلَا يَتمنَّى زَوَالها عَنْهُ. والمعْنى: لَيْسَ حَسَدٌ لَا يَضُرُّ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ[1].

لا تناجشوا: قال أبو عبيد: قوله: لَا تناجشوا هُوَ فِي البيع أَن يزِيد الرجل فِي ثمن السّلْعَة وَهُوَ لَا يُرِيد شراءها وَلَكِن ليسمعه غَيره فيزيد على زِيَادَته[2].

وقال ابن الجوزي: وَنَهَى عَنهُ النجش وَهُوَ مدح السّلْعَة وَالزِّيَادَة فِي ثمنهَا وَهُوَ لَا يُرِيد شراءها وَإِنَّمَا يغر بذلك غَيره.

وقال ابن الأثير: (نَجَشَ)[هـ] فِيهِ «أَنَّهُ نَهى عَنِ النَّجْشُ فِي الْبَيْعِ» هُوَ أَنْ يَمدَح السِّلعة لِيُنفِقَها ويُرَوِّجَها، أَوْ يَزيد فِي ثَمَنِهَا وَهُوَ لَا يُرِيدُ شِراءَها، لِيَقَع غيرُه فِيهَا. وَالْأَصْلُ فِيهِ: تَنْفير الوَحش مِنْ مكانٍ إِلَى مَكَانٍ.

(هـ) وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الْآخَرُ «لَا تَنَاجَشُوا» هُوَ تَفاعُلٌ، مِنَ النَّجشِ. وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ[3].

ولا تحسسوا ولا تجسسوا: قال ابن الجوزي: فِي الحَدِيث لَا تجسسوا وَلَا تحسسوا التَّجَسُّس الْبَحْث عَن بواطن الْأُمُور وَأَكْثر مَا يُقَال فِي الشَّرّ والجاسوس صَاحب شَرّ والناموس صَاحب سر الْخَيْر.

وَقَالَ ثَعْلَب التَّجَسُّس بِالْجِيم أَن يَطْلُبهُ لغيره وَبِالْحَاءِ أَن يَطْلُبهُ لنَفسِهِ.

وَقَالَ غَيره مَعْنَى الَّذِي بِالْجِيم الْبَحْث عَن العورات وَالَّذِي بِالْحَاء الِاسْتِمَاع لحَدِيث الْقَوْم[1].

---

[1] – النهاية(1/ 383)

[2] – غريب الحديث(2/ 10)

[3] – النهاية(5/ 21)

(جَسَسَ)- فِيهِ «لَا تَجَسَّسُوا» التَّجَسُّسُ بالجِيم: التَّفْتيش عَنْ بوَاطِن الْأُمُورِ وأَكْثَر مَا يُقال فِي الشَّرّ. والجَاسُوس: صَاحِبُ سِرِّ الشَّرّ. والنَّامُوسُ: صَاحِبُ سِرِّ الْخَيْرِ. وَقِيلَ التَّجَسُّسُ بِالْجِيمِ أَنْ يَطْلُبَه لِغَيره، وَبِالْحَاءِ أَنْ يَطْلُبَه لنَفْسِه. وَقِيلَ بِالْجِيمِ: الْبَحْثُ عَنِ الْعَوْرَاتِ، وَبِالْحَاءِ: الِاسْتِمَاعُ، وَقِيلَ مَعْنَاهُمَا واحِدٌ فِي تَطَلُّب مَعرفة الْأَخْبَارِ[2].

[1] - غريب الحديث(1/ 156)

[2] - غريب الحديث لابن الجوزي(1/ 156)

الدرس الثالث: مختلف الحديث

تعريف مختلف الحديث:

المختلف لغة من الاختلاف، وهو مصدر اختلف. والاختلاف ضد الاتفاق، ويقال: المختلِف والمختلَف بكسر اللام وفتحها، فعلى الأول يكون اسم الفاعل، وعلى الثاني يكون اسم مفعول، وهو من اختلف الأمران إذا لم يتفقا.

أما في الاصطلاح: فمن ضبط كلمة مختلف على وزن اسم الفاعل«مختلِف» عرفه بأنه الحديث الذي عارضه ظاهرا مثله. ومن ضبطها على وزن اسم المفعول«مختلَف» قال في تعريفه: أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهرا.

وعليه فيكون المراد بالتعريف على الضبط الأول الحديث نفسه، والمراد بالتعريف على الضبط الثاني نفس التضاد والتعارض والاختلاف.

مشكل الحديث:

المُشكل في اللغة: المُختلط والمُلتبس، يقال: «أشكل الأمر: التبس» و «أشكل عليّ الأمر، إذا أختلط. وأشكلت عليَّ الأخبار وأحلكت: بمعنى واحد».

وأما في اصطلاح أهل الحديث فيمكن تعريفه بأنه: الحديث الذي لم يظهر المراد منه لمعارضته مع دليل آخر صحيح.

الفرق بين مختلف الحديث ومشكله:

عند التأمل في تعريف مختلف الحديث ومشكله يظهر لنا الفرق بينهما، وأوضح ذلك من خلال ما يلي:

الفرق اللغوي :

فالمختلف لغة مشتق من الاختلاف . بينما المشكل لغة مشتق من الإشكال، وهو الالتباس.

الفرق في السبب :

فالمختلف سببه معارضة حديث لحديث ظاهراً .بينما مشكل الحديث سبب الإشكال فيه قد يكون التعارض الظاهري بين آية و حديث، وقد يكون سببه التعارض الظاهري بين حديثين أو أكثر، وقد يكون سببه معارضة الحديث للإجماع، وقد يكون سببه معارضة الحديث للقياس، وقد يكون سببه مناقضة الحديث للعقل، وقد يكون سببه غموضـاً في دلالة لفظ الحديث على المعنى لسبب في اللفظ، فيكون مفتقر إلى قرينة خارجية تزيل خفاءه كالألفاظ المشتركة.

الفرق في الحكم :

فالمختلف حكمه محاولة المجتهد التوفيق بين الأحاديث المختلفة بإعمال القواعد المقررة عند أهل العلم في ذلك. وأما المشكل فحكمه النظر والتأمل في المعاني المحتملة للفظ وضبطها، والبحث عن القرائن التي تبين المراد من تلك المعاني.

أهمية علم مختلف الحديث:

1- أنَّ فهم الحديث النبويّ الشريف فهمـاً سليمـاً، واستنباط الأحكام الشرعية من السنة النبويّة على- صاحبها أفضل الصلاة و أتم التسليم - استنباطـاً صحيحـاً لا يتم إلا بمعرفة مختلف الحديث. وما من عالم إلا وهو مضطرٌ إليه ومفتقر لمعرفته. قال ابن حزم الظاهري رحمه الله تعالى: «وهذا من أدق ما يمكن أن يعترض أهل العلم من تأليف النصوص وأغمضه وأصعبه». وقال النووي رحمه الله تعالى: « هذا فنٌ من أهمِّ

الأنواع، ويضطرُّ إلى معرفته جميع العلماء من الطوائف ». وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: « فإن تعارض دلالات الأقوال وترجيح بعضها على بعض بحر خضم».

2- أنَّ كثيراً من العلماء اعتنوا بمختلف الحديث عنايةً كبيرةً، من هؤلاء إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى فهو من أحسن الناس كلامـًا فيه حتى قال عن نفسه:«لا أعرف حديثين متضادين، فمن كان عنده فليأتني به لأؤلف بينهما».

3-أنَّ النظر في طرق العلماء ومناهجهم في دفع إيهام الاضطراب عن أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم يُنمّي لدى طالب العلم ملكة في التعامل مع النصوص الشرعية، وكذلك يربيه على تقديس وتعظيم وإجلال الوحي كتابـًا وسنةً فلا يرد منها شيئـًا، بل يجتهد في طلب التوفيق و الجمع بينها؛ وذلك لعلمه أن نصوص الوحي لا تتعارض بحال. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «فصلوات الله وسلامه على من يصدّق كلامه بعضه بعضـًا، ويشهد بعضه لبعض، فالاختلاف والإشكال والاشتباه إنما هو في الأفهام، لا فيما خرج من بين شفتيه من الكلام، والواجب على كل مؤمن أن يَكِلَ ما أشكل عليه إلى أصدق قائل، ويعلم أن فوق كل ذي علم عليم».

4-أنَّ مختلف الحديث يكتسب أهميته من أهمية مُتعلقه وهو فقه الحديث، وقد بلغ من عناية أئمة الحديث بهذا الشأن مبلغـًا عظيمـًا حيث عدَّه بعضهم نصف العلم. قال الإمام علي ابن المديني رحمه الله: «التفقه في معاني الحديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم» .

المؤلفات في مختلف الحديث:

1-الإمام محمد بن إدريس الشافعي في كتابه «اختلاف الحديث» الذي ذكر فيه طرفـًا من الأخبار المتعارضة، ولم يقصد الاستقصاء. قال النووي رحمه الله تعالى: «وصنف

فيه الإمام الشافعي ولم يقصد -رحمه الله- استيفاؤه، بل ذكر جملة ينبه بها على طريقه».

2-أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي رحمه الله تعالى في كتابه «مشكل الآثار» وهو من أعظم ما صنف في هذا الباب.

3-أبو بكر محمد بن الحسن بن فُورَك رحمه الله تعالى في كتابه «مشكل الحديث وبيانه» وهذا الكتاب جمع فيه مؤلفه جملة من أحاديث العقيدة التي رأي ابن فورك أن ظاهرها التشبيه والتجسيم بناءً على مذهبه في الصفات، فيقوم بتأويلها وصرفها عن ظاهرها المراد منها وغيرهم.

كما أن هناك كنثورات لبعض العلماء اهتمت بهذا الجانب فحاولوا الجمع بين النصوص المتعارضة حسب ما فتح الله عليهم من المعارف والعلوم، منهم الإمام ابن عبد البر في التمهيد والاستذكار، وابن تيمية في الفتاوى، والنووي في كتبه كشرح صحيح مسلم والمجموع شرح المهذب، وابن حجر في فتح الباري وغيرهم رحمهم الله.

6- بيان حقيقة الاختلاف الحقيقي والظاهري:

أ -الاختلاف الحقيقي: هو التضاد التام بين حجتين متساويتين دلالةً وثبوتـًا وعدداً، ومتحدتين زمانـًا ومحلاً. وهذا لا يمكن وقوعه في الأحاديث النبوية؛ لأنها وحي من الله تعالى قال الله سبحانه: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى». والوحي يستحيل وقوع الاختلاف والتناقض فيه لقوله تعالى: «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافـًا كَثِيراً». قال ابن تيمية رحمه الله: «لا يجوز أن يوجد في الشرع خبران متعارضان من جميع الوجوه، وليس مع أحدهما ترجيح يقدم به». وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وأما حديثان صحيحان صريحان متناقضان من كل وجه ليس أحدهما ناسخـًا للآخر

فهذا لا يوجد أصلاً، ومعاذ الله أن يوجد في كلام الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم الذي لا يخرج من بين شفتيه إلا الحق» .

ب –الاختلاف الظاهري: وهو وهم يكون في ذهن الناظر، ولا وجود له في الواقع. قال إبراهيم بن موسى الشاطبي رحمه الله: «كل من تحقق بأصول الشريعة فأدلتها عنده لا تكاد تتعارض كما أن كل من حقق مناط المسائل فلا يكاد يقف في متشابه لأن الشريعة لا تعارض فيها البتة فالمتحقق بها متحقق بما في الأمر فيلزم أن لا يكون عنده تعارض ولذلك لا تجد ألبتة دليلين أجمع المسلمون على تعارضهما بحيث وجب عليهم الوقوف لكن لما كان أفراد المجتهدين غير معصومين من الخطأ أمكن التعارض بين الأدلة عندهم» .

وهذا الاختلاف الظاهري له أسباب عديدة قد أوضح ابن القيم رحمه الله تعالى شيئـًا منها فقال: «ونحن نقول لا تعارض بحمد الله بين أحاديثه الصحيحة، فإذا وقع التعارض، فإما أن يكون أحد الحديثين ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم، وقد غلط فيه بعض الرواة مع كونه ثقة ثبتـًا، فالثقة يغلط، أو يكون أحد الحديثين ناسخـًا للآخر، إذا كان مما يقبل النسخ، أو التعارض في فهم السامع لا في نفس كلامه صلى الله عليه وسلم، فلا بد من وجه من هذه الوجوه الثلاثة. وأما حديثان صحيحان صريحان متناقضان من كل وجه ليس أحدهما ناسخـًا للآخر فهذا لا يوجد أصلاً، ومعاذ الله أن يُوجد في كلام الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم الذي لا يخرج من بين شفتيه إلا الحق، والآفة من التقصير في معرفة المنقول، والتمييز بين صحيحه و معلوله، أو من القصور في فهم مراده صلى الله عليه وسلم، وحمل كلامه على غير ما عناه به، أو منهما معـًا، ومن ههنا وقع من الاختلاف والفساد ما وقع وبالله التوفيق». وقال كذلك: «وإن

حصل تناقض فلابد من أحد أمرين: إما أن يكون أحد الحديثين ناسخـًا للآخر، أو ليس من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإن كان الحديثان من كلامه وليس أحدهما منسوخـًا فلا تناقض ولا تضاد هناك البتة، وإنما يُؤتى من يُؤتى هناك من قبل فهمه، وتحكيمه آراء الرجال، وقواعد المذهب على السنة، فيقع الاضطراب والتناقض والاختلاف».

من خلال الكلام السابق لابن القيم يظهر أن أسباب التعارض والاختلاف ترجع إلى:

1-إما أن يكون أحد الحديثين ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم، وقد غلط فيه بعض الرواة مع كونه ثقة ثبتـًا، فالثقة يغلط.

2-وإما أن يكون أحد الحديثين ناسخـًا للآخر، إذا كان مما يقبل النسخ.

3-وإما أن يكون التعارض في فهم السامع لا في نفس كلامه صلى الله عليه وسلم.

4-وإما من جهة تقصير الناظر في معرفة المنقول، والتمييز بين صحيحه و معلوله. أو من القصور في فهم مراده صلى الله عليه وسلم، وحمل كلامه على غير ما عناه به، أو منهما معـًا.

5-أو تحكيم آراء الرجال، وقواعد مذهب من المذاهب على السنة النبوية على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

7- مسالك أهل العلم في دفع مختلف الحديث:

القول الذي عليه جماهير أهل العلم في دفع التعارض الظاهري بين مختلف الحديث، هو أن يسلك المجتهد الطرق التالية :

1-الجمع بين الحديثين: لاحتمال أن يكون بينهما عموم وخصوص، أو إطلاق وتقييد، أو مجمل ومبين؛ لأن القاعدة المقررة عند أهل العلم أن إعمال الكلام أولى من

إهماله. قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «ولا ينسب الحديثان إلى الاختلاف ما كان لهما وجهان يمضيان معا إنما المختلف ما لم يمضي إلا بسقوط غيره مثل أن يكون الحديثان في الشيء الواحد هذا يحله وهذا يحرمه». وقال الخطابي رحمه الله تعالى: «وسبيل الحديثين إذا اختلفا في الظاهر وأمكن التوفيق بينهما وترتيب أحدهما على الآخر، أن لا يحملا على المنافاة، ولا يضرب بعضها ببعض، لكن يستعمل كل واحد منهما في موضعه، وبهذا جرت قضية العلماء في كثير من الحديث».

2-النسخ: إن لم يمكن الجمع بين الحديثين، نُظِر في التاريخ؛ لمعرفة المتأخر من المتقدم، فيكون المتأخر ناسخًا للمتقدم ، قال الشافعي رحمه الله: «فإذا لم يحتمل الحديثان إلا الاختلاف كما اختلفت القبلة نحو بيت المقدس والبيت الحرام كان أحدهما ناسخا والآخر منسوخا».

3-الترجيح: إن لم يمكن الجمع، ولم يقم دليل على النسخ، وجب المصير إلى الترجيح الذي هو تقوية أحد الحديثين على الآخر بدليل لا بمجرد الهوى. قال الشافعي رحمه الله تعالى: «ومنها ما لا يخلو من أن يكون أحد الحديثين أشبه بمعنى كتاب الله أو أشبه بمعنى سنن النبي صلى الله عليه وسلم مما سوى الحديثين المختلفين أو أشبه بالقياس فأي الأحاديث المختلفة كان هذا فهو أولاهما عندنا أن يصار إليه». وقال الشوكاني رحمه الله في مبحث وجوه الترجيح بين المتعارضين: «إنه متفق عليه، ولم يخالف في ذلك إلا من لا يعتد به، ومن نظر في أحوال الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم وجدهم متفقين على العمل بالراجح وترك المرجوح».

4-التوقف: إذا تعذر كل ما تقدم من الجمع والنسخ والترجيح فإنه يجب التوقف حينئذ عن العمل بأحد الحديثين حتي يتبين وجه الترجيح. قال الشاطبي رحمه الله

تعالى:«...التوقف عن القول بمقتضى أحدهما وهو الواجب إذا لم يقع ترجيح...».
قال السّخاوي رحمه الله تعالى: «ثم التوقف عن العمل بأحد الحديثين والتعبير بالتوقف أولى من التعبير بالتساقط لأن خفاء ترجيح أحدهما على الآخر إنما هو بالنسبة للمعتبر في الحالة الراهنة مع احتمال أن يظهر لغيره ما خفى عليه وفوق كل ذي علم عليم».

الدرس الرابع: النسخ

النسخ لغة يطلق على إطلاقين هما:

الأول: يطلق ويراد به الإزالة والرفع، ومنه قولهم«نسخت الشمس الظل» أي أزالته. ومنه قولهم:«نسخت الريح الأثر» أي رفعت الريح آثار القوم وأزالتها.

الثاني: النسخ يطلق ويراد به لغة النقل مع بقاء الأول، ومنه قولهم:«نسخت الكتاب» أي نقلت ما فيه مع بقاء الأصل.

النسخ اصطلاحا:

هو رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم بخطاب متأخر عنه.

وهذا التعريف اختاره أبو بكر الباقلاني، والغزالي، وأبو إسحاق الشيرازي، والآمدي، وابن الحاجب، والتبريزي.

جواز النسخ عقلا وشرعا

النسخ جائز عقلا وشرعا بالأدلة التالية:

-أنا نعلم اختلاف المصلحة باختلاف الأزمان، فلا يمتنع أن يأمر الله تعالى بالفعل في زمان لعلمه سبحانه أن العباد لهم مصلحة فيه في هذا الزمن، ثم ينهاهم عنه ويحرمه عليهم في زمن آخر لعلمه سبحانه أن العباد لو عملوا ذلك الفعل في هذا الزمن الثاني لترتب عليه مفسدة، كما يفعل الطبيب بالمريض حيث يأمره باستعمال دواء خاص في بعض الأزمنة وينهاه عنه في زمن آخر بسبب اختلاف المصلحة.

-أما النسخ شرعا فقد ذهب جمهور العلماء إلى وقوعه. ولهم في ذلك أدلة:

الأول: إجماع الصحابة على أن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع السابقة إما كلا وإما فيما يخالفها فيه، فالأحكام التي كانت عليهم لا تلزمنا ولسنا مطالبين بها إذا لم يرد بها في شرعنا.

الثاني: وقوع النسخ في الشريعة، والوقوع دليل الجواز، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أنه نسخ وجوب التربص حولا كاملا عن المتوفى عنها زوجها بالتربص أربعة أشهر وعشرا. قال تعالى: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج، ثم قال:«والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهم أربعة أشهر وعشرا».

أنه نسخ وجوب التوجه إلى بيت المقدس باستقبال الكعبة، قال تعالى:«سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها» وقال:«فول وجهك شطر المسجد الحرام».

فائدة النسخ

قال ابن الجوزي رحمه الله: للنسخ فائدتان:

إحداهما: ابتلاء المخلوق تارة بالتسليم للأمر، وتارة بإزعاجه عن ما ألف، فإنه إذا دام على حالة صارت الحالة مألوفة كالطبيعة فلم يبن تأثير المزعج الشرعي إلى الفعل لأنس الطبع بما اعتاد، فإذا نقل بالتكليف إلى غيرها قطع إلفه وبان أثر تعبده. والفائدة الثانية: تدبر المصالح، فإن الشرع قد يرى العمل بالشيء مصلحة في وقت، ولا يراه مصلحة في وقت آخر.

الأحكام التي يتناولها النسخ، والأحكام التي لا يتناولها:

1- الأحكام الأصلية المتعلقة بأصول الدين والعقائد كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره، فهذه لا تقبل التغيير والتبديل بأي حال من الأحوال.

2- الأحكام العامة والقواعد الكلية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا ضرر ولا ضرار، وكل عمل ليس عليه أمرنا فهو باطل، والبينة على المدعي واليمين على من أنكر، فهذه لا يمكن رفعها لأن مصلحتها ظاهرة.

3- الأحكام التي لا تحتمل عدم المشروعية كأمهات الأخلاق والفضائل كالعدل والصدق والامانة وبر الوالدين والوفاء بالعهد ونحو ذلك، فإن هذه لا تنسخ، لأن مصلحة التخلق بها أمر ظاهر، وحسنها لا يتغير بتغير الازمان ولا يختلف الأشخاص والأمم فيها.

4- الأحكام التي لا تحتمل المشروعية كأمهات الرذائل كالكفر والكذب والظلم والخيانة والغدر وعقوق الوالدين وعدم الإخلاص ونحو ذلك، فهذه لا تنسخ لأن قبحها لا يتغير بمرور الزمن، لأن المفسدة التي تنال العباد في الأخذ بها ظاهرة.

5- الأحكام المؤقتة، فهذه لا يدخلها النسخ، لأن التوقيت بيان انتهاء مدة الحكم كالصيام إلى غروب الشمس.

6- الأحكام التي لم يثبت نسخها في عصر الرسالة صراحة، أو ضمنا، فإن تلك الأحكام مؤبدة لا تحتمل النسخ، لأنه لا نسخ إلا بوحي، ولا وحي إلا بنبي، ولا نبي بعده صلى الله عليه وسلم.

7- الأحكام التي ارتبط بها ما ينافي النسخ كالتأبيد، وذلك لأن تأبيد الحكم يقتضي حسنه على الدوام، والنسخ ينافي ذلك، هذا على حسب الواقع.

طريق معرفة وقوع النسخ

يعرف وقوع النسخ بطرق أربعة:

1- النص من النبي صلى الله عليه وسلم. مثاله: حديث بريدة بن الحصيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء فاشربوا في الأسقية كلها ولا تشربوا مسكرا. أخرجه مسلم.

2- ما عرف بقول الصحابي: واشترط أهل الأصول أن يخبر بتأخر الناسخ، فإن قال هذا ناسخ لم يثبت النسخ لجواز أن يقوله عن اجتهاد. مثاله حديث جابر قال: كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار. أخرجه مسلم.

وعن أبي بن كعب قال: إنما كان الماء من الماء رخصة في أول الإسلام ثم نهي عنها. قال الإمام الترمذي: وإنما كان الماء من الماء في أول الإسلام ثم نسخ بعد ذلك.

3- ما عرف بالتاريخ: بحيث يعلم أن أحد النصين متأخر عن الآخر.

مثاله حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفطر الحاجم والمحجوم» مع حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم.

قال الشافعي: فذكر ابن عباس حجامة النبي صلى الله عليه وسلم عام حجة الإسلام سنة عشر، وحديث«أفطر الحاجم والمحجوم» في الفتح سنة ثمان قبل حجة الإسلام

بسنتين، فإن كانا ثابتين فحديث ابن عباس ناسخ، وحديث«أفطر الحاجم والمحجوم منسوخ».

4- ما عرف بدلالة الإجماع: أي أن يجمع العلماء على ترك العمل بحديث ما، وليس إجماعهم هو الناسخ، لأن النص لا ينسخه إلا النص، ولأن الإجماع لا ينعقد إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ولا نسخ بعده. ولكن الإجماع دل على وجود نص آخر ناسخ.

مثاله: حديث معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«إذا شربوا الخمر فاجلدوهم، ثم إن شربوا فاجلدوهم، ثم إن شربوا فاجلدوهم، ثم إن شربوا فاقتلوهم». قال النووي: وهذا الحديث منسوخ، قاله جماعة، دل الإجماع على نسخه، وقال بعضهم: نسخه قوله صلى الله عليه وسلم: لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة.

شروط النسخ

الشرط الأول: أن يكون الحكم المنسوخ قد ثبت بخطاب متقدم.

الشرط الثاني: أن يكون الحكم المنسوخ مطلقا لم يحدد بمدة معلومة فيأتي الناسخ فجأة دون انتظار من المكلفين.

الشرط الثالث: أن يكون الناسخ خطابا شرعيا، فإن ارتفع الحكم بموت المكلف أو جنونه أو غير ذلك من عوارض الأهلية فليس بنسخ، وإنما سقط التكليف بسبب ذلك العارض.

الشرط الرابع: أن يكون الناسخ منفصلا عن المنسوخ متأخر عنه، فإن كان النص قد اقترن بعضه ببعض كالشرط والغاية والاستثناء فليس بنسخ حيث يكون تخصيصا.

المؤلفات في الناسخ والمنسوخ من الحديث

1- الناسخ والمنسوخ من الحديث لأحمد بن حنبل(ت:241هـ).

2- ناسخ الحديث ومنسوخه لأبي بكر أحمد بن محمد بن هانئ الأثرم (ت273).

3- الناسخ والمنسوخ من الحديث لأبي داود السجستاني(ت:275هـ).

4- الناسخ والمنسوخ من الحديث لأبي الشيخ عبد الله بن محمد بن حيان (ت:369هـ).

5- ناسخ الحديث ومنسوخه لأبي حفص عمر بن احمد بن عثمان المعروف بابن شاهين(ت:385هـ).

6- الاعتبار في الناسخ والمنسوخ لأبي بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي (ت:584هـ).

7- إعلام العالم بعد رسوخه بناسخ الحديث ومنسوخه لابن الجوزي (ت:597هـ).

==========

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين